

الانزياح

ثقة

واصطلاحا

obeikandi.com

أمور كثيرة يستند إليها الشاعر عند تكوين التجربة وتشبيد بنائها ، فمنذ شرارة الانفعال والتأثير يصرح الشاعر أدواته من مفردات وأساليب وأخيلة وموسيقا يؤسس بها أبيات القصيدة متوخيا التآني والتأنق في اختيار لفظ دون الآخر ، وهو في ذلك كله يتخذ محلية الانزياح أساسا يعتمد عليه ، ويشكل به جوانب تجربته من منطلق أنه (الانزياح) متعلق بجماليات النص الشعري .

الانزياح لغة مأخوذ من مادة (زاح) زوحا وزواحا أي زال وتحنى وتباعد ، وزاح الشيء زوحا : أبعد ، وأزاحه : نحاه ، وانزاح : زال وتباعد (١) .

والانزياح مصطلح غربي واقد إلينا من الدراسات الأسلوبية الغربية المعاصرة ، وهو يعني : الابتعاد بنظام اللغة عن الاستعمال المألوف ، والخروج بأسلوب الخطاب عن السنن اللغوية الشائعة فيحدث في الخطاب تباعدا (انزياحا) يتيح للشاعر التمكن من محتوى تجربته . وصياغتها بالكيفية التي يراها كما يحقق للمتلقي متعة وفائدة . ويعرف "ميشال ريفاتير" الانزياح بأنه ابتعاد "عن النمط التعبيري المتواضع عليه ، وهو خروج عن القواعد اللغوية وعن المعيار الذي هو الكلام الجاري على ألسنة الناس في استعماله وغايته التوصيل والإبلاغ" .

وقد جاء هذا المصطلح في ثنايا الدراسات الأسلوبية واللسانية الغربية التي تسعى جاهدة إلى تحديد الواقع اللغوي من منطلق أنه قضية أساسية في تشكيل جماليات الخطابات الأدبية ويوصفه أيضاً حدثاً لغوياً يظهر في تشكيل الكلام وصياغته ، وجدير بالذكر أن هذا الأمر ليس جديداً على أدبنا العربي ، فقد تناولته العلماء العرب من قبل تحت مسميات أخرى كالتقديم والتأخير ، والذكر والحذف والإسناد .

ويشير النقاد إلى أن مصطلحات: الانزياح، العدول، التجاوز، الانحراف
الاختلال، الإحاطة، خرق السند، كلها تؤدي معنى الانزياح .

ذلك أن لغة الخطاب العادي لا انزياح فيها، في حين أن شعرية الأدب تقوم
من جملة ما تقوم على الانزياح أي الخروج عن مالوف الصياغة .

ولا يأتي الانزياح هكذا عبثاً بلا هدف . وإنما يأتي به المبدع شاعراً أو ناثراً
لغاية وهدف نتيبينه في :

- ما يخدم النص .

- ما يخدم متلقي النص .

يخدم النص بما يقدم من انزياحات وخرق لقوانين اللغة بالتقديم والتأخير
" . كـ والحذف وما يقدم من استعارات وتشبيهات وكنيات ومحسنات ويخدم
منلفي النص بما يحدث له من « المفاجأة » بالخروج عن النظام والقانون المتبع في
تركيب الجمل وغني عن البيان أن مفهوم المفاجأة مرتبط أصلاً بالمتلقي .

ولقد عرف شيوخ العربية ونقادها القدماء أهمية هذا المصطلح ، ولكنهم لم
يعرفوه كما عرفنا نحن، وإنما عرفوه بمصطلحات عديدة مجزأة مبعثرة .

فقد عولجت قضية الانزياح من قبل نقدنا القديم وعلماء العربية الأفاضل
بأسلوب يفوق ما تناولته الدراسات الغربية الحديثة فتناولوا الانزياح تحت
مسميات مختلفة منها :

العدول والمجاز والمبالغة والإغراق والضرورة وغير ذلك .

وحسبك أن ترى الانزياح ماثلاً في مصادرنا العربية القديمة بالرجوع على
أمهات الكتب العربية :

- (أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني .

- (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني.

- (متهاج البلغاء) لحازم القرطاجني.

- (العمدة) لابن رشيق وغيرها، ومؤلفات أسلوبية معاصرة .

فهذا شيخ النقاد عبد القاهر الجرجاني يقول "معلوم أن ليس النظم سوى

عملية تعليق الكلمة بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض" ، ويفرق بين

نظم الحروف ونظم الكلمة، فيقول:

"ومما يجب إحكامه الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم منظومة وذلك أن

نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط ، ليس نظمها عن معنى ، فلو أن واضح

اللغة كان قد قال "ربض" مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد ، وأما

نظم الكلمة فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على

حسب ترتيب المعاني في النفس ، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع

بعض ، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق وينظر

في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما

حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء وموضع الفاء من موضع ثم وموضع أو من

موضع أم، وموضع لكن من موضع بل. ويتصرف في التعريف والتذكير والتقديم

والتأخير في الكلام كله" (٢).

ألا ترى أنه يشير إلى ما يطرأ على الكلام واللغة من تغيير عند نظم الشعر ،

وما يعتريه من خروج عن الترتيب المنطقي ، وهو ما تسميه الدراسات الأسلوبية

واللغوية الحديثة بالانزياح .

إننا حين نتناول ما يعرض أمامنا من أساليب نجد أنفسنا حيال نمطين من مختلفين :

١- أسلوب اللغة الطبيعية العادية التي تراعي الترتيب المنطقي لفردات الجملة، وهذا النمط الطبيعي غايته إبلاغ رسالة واضحة تحقق تواصلًا بواسطة لغة تقريرية مباشرة .

٢- أسلوب غير طبيعي يميل إلى خرق علاقة مألوفة بين الكلمة ودلالاتها المعتادة في اللغة الطبيعية، أسلوب يحمل في طياته انزياحًا أي خروجًا عن المألوف ، فقولك :

- الطائر فوق الغصن . لغة طبيعية ، ترتيبها منطقي (مبتدأ وخبر) .
- أما قولك : فوق الغصن طائر فهذه لغة غير طبيعية ، لأن فيها خرقًا للمألوف وخروجًا عن نظام اللغة المتبع ، فقد قدمت الجار والمجرور (فوق الغصن) الخبر على المبتدأ (طائر) .
- الانزياح إذن يعني البعد عن مطابقة الكلام للواقع وهو يستعين بأدوات لغوية متعددة منها الاستعارة والتشبيه والخيال والرمز وغيرها من المحسنات البلاغية .

- ففي قول الشاعر (عينك غابتنا نخيل) انزياح باللغة من المعنى المعهود للعينين في اتجاه معنى آخر غير مألوف .
- وفي ورود الجناس أو السجع أو المطابقة أو المقابلة أو الترادف خروج عن المألوف بقصد تزيين الكلام ، أو إحداث مؤثر صوتي يخرج بالكلام والأسلوب عن مساره التقريري اللغوي المباشر .

وأدوات الانزياح اللغوي كثيرة منها :

- التقديم والتأخير.

- الذكر والحذف .

- المجاز :

o التشبيه.

o الاستعارة.

o الكناية .

- المحسنات البديمية :

o السجع

o الجناس

o الطباق

o المقابلة

o التورية

o الترادف

o التكرار.

o الازدواج .

o التوشيح .

o العدول.

o الالتفات .

o رد الأعجاز على الصدور.